رابطة الجامعات الإسلامية

المؤتمر العالمى الأول
العمارة والفنون الإسلامية
(الماضى والحاضر والمستقبل)

أ.د. عزت جمال الدين محمود عزت
أستاذ التصميم بكلية الفنون التطبيقية
جامعة حلوان – جمهورية مصر العربية

2007

الكتابة العربية
تاريخها – تطورها - أنواعها

أ.د. عزت جمال الدين محمود عزت

أستاذ التصميم بكلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان – جمهورية مصر العربية

ملخص البحث

الخط العربى هو فن إبداعى قائم بذاته له مدارسه واتجاهاته وله أساتذته ومبدعوه، استطاع أن يؤكد ذاتيته المتفردة فى تاريخ الفنون، بتيار خاص له شخصيته المعبرة عن كل زمان ومكان، هذه الشخصية كان لها أكبر الأثر فى خلق ثقافة عربية جديدة منذ القرن الأول الهجرى وانتشار الإسلام، ظهر تنوع هائل فى أشكال وأنماط وأنواع وقواعد للكتابة العربية كان من أثرها إضافة أساليب زخرفية – بنائية وهندسية – إسلامية صرفة.

ومع ذلك فإن الكتابة العربية بكل تعقيداتها وقدرتها الفائقة على المحاورة والمناورة والتجديد والتطوير والتنوع والزخرفة، ما هى إلا قوانين ثابتة ومتحركة فى آن واحد، تطورت واستقرت لتشبع حاجات الفكر الإنسانى، ومهما تطورت ومها تعقدت ومهما تعددت أنواعها، سيبقى الأساس واحدا والنظرية التى قامت عليها واحدة.

ومهما اختلفت آراء بعض العلماء واتفقت بعضها فى التقسيم العلمى لأنواع الخطوط سواء الجافة أو اللينة من حيث التطور التاريخى والزمنى ومن حيث الشكل والتطور من خلال العصور المختلفة وتصنيفها حسب مراحل تطور كل نوع وتجميله وتزويقه (زخرفته) فى رحلته العظيمة، وكذلك فى مجالات استخدامه والكتابات التسجيلية المؤرخه به مما يدل على عظمة الفنان المسلم ومقدرته على تصميم أشكاله وأنواعه المختلفة التى تجمع بين دقة التوزيع وجودة الخط وحسنه، وسلامة ذوقه الفنى ويمكن إرجاع الأصول التاريخية للكتابة العربية إلى نوعين أساسيين تفرع من كل منها عدة أنواع:

- الأول الخط الجاف ويسمى بالخط اليابس أو المبسوط وهو مستوحى من الخط الآرامى، واستخدم كخط تسجيلى فى كتابة المصاحف ورسائل الرسول فى صدر الإسلام وكذلك على العملة والعمائر وأدخل عليها من التحسين والإضافات حتى أصبح سهلا وتطور فى سرعة مذهلة خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة.
- الثانى الخط المقور وسمى بالخط اللين أو النسخى وتميل حروفه على التدوير وامتازت حروفه بتناسب أجزائها وانسجامها سواء كانت مفصولة أو موصولة ساعدت على سهولة الكتابة وسرعة استخدامه فى الكتابات العامة والتدوين.

لذلك كان لزاما علينا الخوض فى غمار الفن الإسلامى والبحث فى جذور الكتابة العربية تأكيدا على دورها فى كافة مجالات التراث الإسلامى.

Arabic calligraphy
Its history, development, types

Prof. Dr. Ezzat Gamal El Din Mahmoud
Prof. of Graphic Design
Advertising Department

Summary

Arabic calligraphy is a kind of Art, creative one, has several schools, scholars, it's own creators and tendencies. It had and has its own personality in the history of Arts. It expresses the creation during the various times and places. Such personality had a great effect in forming a certain Arabic culture, new and modern, since the first century of Hijira. At the time of Islam spreading. There are many various and enormous types, shapes and kinds of Arabic Caligraphy with its rules. It added many types of decoration, structure and Geometrical pure Islamic characters.

Despite, the Arabic Calligraphy is complicated and has wonderful ability to innovate, renew and develop several kinds of decorative letters, it has abo stable and elastic rules in the same time. These rules have been developed through time to fulfill all needs of the human though and creation. One base combines, the compilication and the rich variety, it is the concrete theory. The historical origins and roots of the Arabic calligraphy are divided into two main tendencies with their branches:

The first: The rough type, which we may call the tough or clear type. That type is derivated from the Armean typography, then it was used as a formal type in recording of writing the holy Koran and the prophat's messages. It was also used on coins and even on buildings. It is of course development and acquired several additions and modernizations that made it easier. Such promotion was obvious during the first five centuries of Hijira.

The second: The curved type, which we may call the simple and current type. Its letters have curved shapes, the letters are more symmetrical, clear whether they were connected or separated. The result was easier hand writing and even speedy. Thus this type was and is used more widely in the common and current writing.

I ask you all to deeply research in the Islamic Arts to reach the origins of the Arabic calligraphy and to trace its role in all fields of the Islamic heritage.

التعبيرات الإنسانية الأولى

لو أننا تتبعنا تاريخ الكتابة لوجدنا أن هذا التاريخ ليس تاريخ الإنسان وإنما هو تاريخ حضارة الإنسان.

فالكتابة أيا كان نوعها مرورا بالمخربشات إلى ظهور الحضارات وتنوع أشكال التعبير هى تقدم فكرى وتفوق عقلى، حيث استطاع الإنسان العاقل أن يبتكر أسلوب للتعبير من خلال أشكال ورسوم جعل لكل شكل منها دلالة خاصة تؤدى فى حالة تجاورها أو تركيبها معانى متفق عليها وقد تتجاوز حدود الكلمات الدالة على معانى حركية.

كما أن الكتابة فى جميع الأحوال وسيلة الإنسان إلى المعرفة، ومظهر من مظاهر الحضارة، ولا يمكن بأى حال من الأحوال تصور نشأتها إلا فى ظل حضارة إنسانية لها جذورها الضاربة فى العمق الحضارى والإنسانى.

تاريخ الكتابة

لقد أجمع المؤرخون على أن لمصر الفرعونية السبق الأول فى التفكير لإيجاد لغة التخاطب والكتابة.

حيث كانت فى بدايتها رموز محفورة ونقوش مزينة ثم أخذت مع الزمن تدل على كلمات ثم على مقاطع ثم على حروف، وهكذا ظهرت خطوطهم القديمة المسماة (الهيروغليفى Hieroglyphes أو الخط المقدس) وقد استعملوه للكتابة على المعابد، ثم توصلوا إلى رموز مختزلة أخذت عن الهيروغليفية فتولد معهم خط آخر سمى (الهيراطيقى Hieratique – أى الدينى) ومنه ظهر الخط الديموطيقى Demotique أى العامى).

وظلت الكتابة المصرية القديمة سرا مبهما إلى أن حل رموزها العلامة الفرنسى (شامبليون-1822م) باكتشافه حجر رشيد ومحاولته حل رموزه (شكل 1) فأوجد باكتشافه هذا علم (الآثار المصرية Egyptologie) حيث تمكن العلماء من ترجمة العديد من النقوش الموجودة على المعابد المصرية القديمة أمثال روجيه – شاباس – ماريث – ريبول – ماسبيرو).

وقد اتفق علماء اللغة والمؤرخين على أن الكتابة المصرية القديمة بأنواعها الثلاثة هى أصل الكتابات فى العالم حيث أنهم استوحوها من بيئتهم ولم يأخذوها عن شعوب أخرى.

كما كانت هناك الكتابة السومرية التى عرفت بالكتابة المسمارية Cunelform فى أرض النهرين حيث تناولها السومريين والبابليين والأشوريين بالتهذيب وحولوها من رموز إلى أحرف هجائية.

ولقد حقق الفينيقيون فى منتصف الألف الثانى ق.م. حضارة ذات درجة عالية من التقدم فطوروا الكتابة السومرية وجعلوا من مقاطعها حروفا أبجدية (ثلاثين حرفا) اختصرت فيما بعد لتصبح (22 حرفا) فكان لهم الفضل فى اختراع حروف الكتابة ذات الأبجدية الرمزية Ideographic حيث يعد ذلك انتصارا للحضارة الإنسانية، وعنهم أخذ الإغريق وأدخلوا عليها حروف الحركة القصيرة وانتقلت الكتابة بدورها إلى الرومان فكانت هناك مصدرا للأبجديات حيث أخذت أوربا حروفها اللاتينية الستة والعشرين عن الرومان ثم انتقلت إلى شعوب العالم.

وتؤكد بعض المراجع بأن النقوش السينائية الأولى والثانية أصل من أصول الأبجديات نشأت عنها كتابات سبأ واللحيانيين. كما تذكر بعض الآراء أن العرب الأنباط فى شرق سيناء وجنوب فلسطين والأردن وحول سلع (البطراء) خلطوا مع تلك الأبجدية السينائية – التى هى أصل الأبجديات شيئا من حروف الأرامية فكونت بذلك جذور الأبجدية العربية.

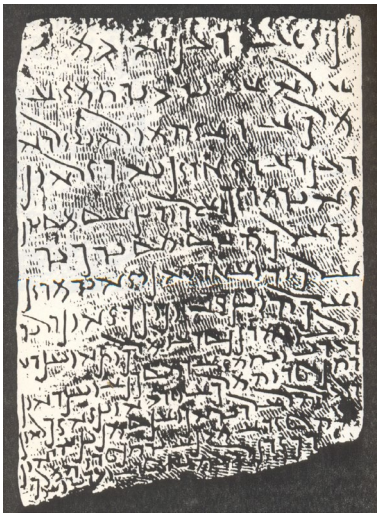

والخط الآرامى (شكل 2) الذى يعتبر من أقدم الخطوط التى تفرع منها معظم الكتابات والتى كانت فى الألف الأول قبل الميلاد حيث كانت اللغة السائدة فى أيام الأنباط، وتعتبر الأرامية فى ذلك الوقت لغة العلم ولغة أهل الدولة والتى حلت بالتدريج فى المنطقة السامية محل الكتابات الكنعانية والأوجاريتية والأكادية والسومرية حيث تعلمها أصحاب هذه الأقلام وانتشرت بينهم لسهولة الكتابة بها، فتفرعت إلى عدة أقلام عرفت بالأرامية وكانت تقرأ وتكتب من اليمين إلى اليسار. كما تفرع الخط الأرامى إلى عدة فروع أهمها القلم السريانى والقلم التدمرى ويعتبر القلم النبطى أشهرها عند الساميين وأهميته باعتباره أصل الخط النسخى اللين قبل الإسلام.

ومثال على ذلك الكتابة الموجودة على قبر امرئ القيس أحد ملوك الحيرة (شكل 3).

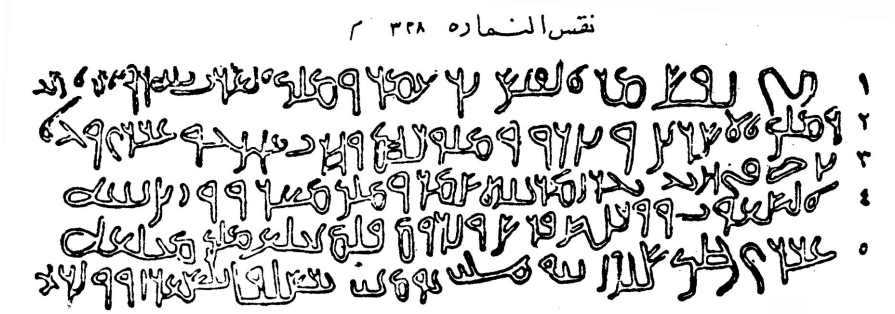

ونخلص إلى أن الكثير من الباحثين من خلال الاكتشافات الأثرية أن الخط النبطى اشتق من الخط الآرامى، وأن الخط العربى المبكر اشتق من الخط النبطى المتأخر والدليل على ذلك وجوده فى كتابات بعض المصاحف التى دونت فى صدر الإسلام.

تاريخ الكتابة العربية ومراحل تطورها

مهما اختلفت الحضارات وتنوعت أساليب الكتابة لدى الجنس البشرى، تبقى الكتابة العربية وفنون الخط العربى مثار جدل ومحط أنظار الباحثين والمفكرين بشكل عام ومتذوقى الفن الجميل بشكل خاص.

وهناك العديد من الحضارات والفنون التى أثرت وتأثرت مثل الفن الاغريقى، والصينى والهندى وغيرها من الفنون استمرت مع الزمن وتوقفت مع الزمن أيضا وكان آخر هذه الحضارات والفنون ظهورا فى تاريخ الفن (الفن والحضارة الإسلامية) كلها كان لها أصالتها الخاصة وملامحها المتميزة وأسلوبها الجمالى.

على أن الفرق بين أصالة الفن الإسلامى وأصالة الفنون الأخرى – فرق كبير إلى حد بعيد، ولكن مجموع هذه الفنون انتجتها شعوب كان لكل منها موقعه الجغرافى المحدود، وثقافته المتجانسة، وتاريخ طويل من التفاعل والانسجام فى خصوصية ذاتية متميزة، على حين تفرد الفن الإسلامى دون غيره من الفنون باسطا يديه على مواقع شاسعة ومساحات جغرافية ومتنوعة ومتباعدة شرقا وغربا متفاعلا من ثقافات شديدة التباين، حيث لم يستغرق سوى فترة قصيرة من الزمن لكى يجعل طابعه الجمالى هو الطابع السائد، ولتصبح نظريته الجمالية هى النظرية الشاملة موحدة سواء فى الجنوب أو فى الشمال أو فى مصر أو فى تركستان أو فى قرطبة أو فى فارس كلهم جميعا عشقوا هذا الفن وتكونت فى مجموعها أعظم وأقوى الحضارات استمرت حتى يومنا هذا وإذا كان القرآن الكريم هو لغة الإسلام الأولى المهيمنة التى تخاطب البشر جميعا، وهو الذى صاغ الشخصية الفكرية الإسلامية وجميع ملامحها، فإن الفن الإسلامى هو لغة الإسلام الثانية، فهو الذى صاغ الشخصية الجمالية الإسلامية وجمع لها الملامح وشكل لها عمق هويتها.

إذا فالخط العربى ممارسة للعبادة عند الفنان العربى المسلم، والأشكال الفيزيائية الخارجية لا يلقى إليها بال إلا بشكل استثنائى للغاية، لقد أبدع الفنان العربى المسلم الجمال فى الخط عبر أشكال تصويرية من طبيعة ميتافيزيقية توصل إلى تحقيقها من خلال حدس صوفى غائب عن المحسوسات، وشحذ الهمة بالمجاهدة والممارسة الدؤوبة – القلم – مؤهلا يده لابتداع التعبيرات والصور المناسبة من وجدانه الصوفى فى حركة إيقاعية حالمة.

ومهما قيل من أفكار أو آراء عن أن فلانا أو آخرين هم الذين وصفوا أشكال الحروف العربية فإن هذا ضربا من ضروب الخيال، لأن الكتابة تحتاج إلى جهود غاية فى الصعوبة، وعملية معقدة ودقيقة، تحتاج إلى :

1. تعلم رسوم وأشكال الحروف وأرقامها.
2. تعلم دلالات تلك الرسوم والأشكال على المعانى.
3. ربط المفردات اللغوية وتكوين معانى معقدة أخرى.

كل ذلك تم بتوفيق من الله سبحانه وتعالى على يد فرق متكاملة مؤمنة بقضية الإيمان بوحدانية الله وبكتابه المنزل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه. هذه المراحل مكنت الإنسان المسلم من امتلاك ناصية الكتابة.

وإذا كان القول بأن الفن الإسلامى اعتمد فى بداياته على الفنون السابقة عليه وبخاصة فى البلاد الحضارية، ورغم كل التأثيرات الفنية، إلا أن اللغة والخط العربى كان لهما الأثر فى خلق ثقافة عربية جديدة منذ القرن الأول الهجرى، ومع انتشار الدين الإسلامى ظهر التنوع الهائل فى أشكال وأنماط وقواعد الكتابة العربية وخلق أساليب زخرفية – بنائية وهندسية – إسلامية صرفة، تخلصت من كل المؤثرات السابقة مثل الساسانية والهلينستية وغيرها.

ويمكننا أن نتعرف على نماذج موثوق بها منذ عصر النبوة ألا وهو الخط الحجازى كتب به رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم أرسلها إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها لدخول الإسلام وختمت بخاتم النبوة (شكل 4) كتبت بالخط الحجازى نسبة إلى أرض الحجاز الجاف المزوى الخالى من علامات النقط والإعراب فى حروف متصلة كتبها كتاب الرسول من الصحابة وكان عددهم ثلاثة وأربعون كاتبا وعلى رأسهم أبو بكر، عمر، عثمان، على، زيد، أبو سفيان، معاوية، يزيد، عمرو بن العاص، وغيرهم، وكان أكثر التصاقا بالرسول – زيد بن ثابت لكتابة الوحى.

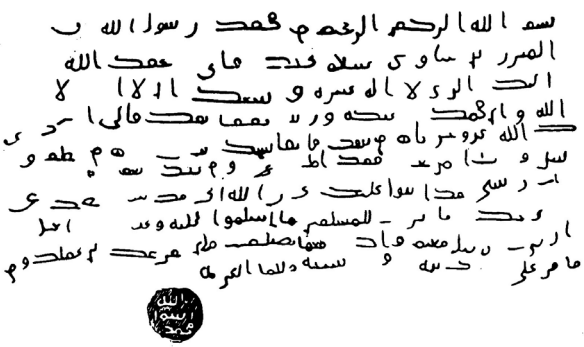

ولقد وصلنا منذ عصر الأصالة العربية المبكرة بدايات لتدوين آيات القرآن الكريم فى عهد الرسول إلى أن أتم الله عليهم تدوين المصحف الجامع كاملا فى عهد عثمان بن عفان وروجع ونسخ منه نسخا أرسلت إلى مكة والمدينة والشام والبصرة واليمن والبحرين ومصر.

وانتشرت الكتابة العربية مع انتشار الإسلام أضيف إليها مع كل مكان حلت فيه وتمشيا مع طبيعة العمران من تجديد وابتكار وتنويع إلى جانب لغات كثيرة فى فارس والهند والترك والبلقان والصين وشمال أفريقيا وغيرها من البلدان التى دخلها الإسلام حيث لقيت الكتابة العربية كل جلال واحترام وتقدير مثلما لقيته فى أرض العرب وذلك لأنها لغة عنيت بمفرداتها وأوفت فى مجال حروفها، حفظت فى أصل تكوينها عوامل بقائها ونموها، فتنوعت فيها مذاهب الكناية والمجاز، كما أنها لغة القرآن والحديث النبوى، كما كانت لغة الشعر والأدب فى صدر الإسلام، ثم لغة العلم والحضارة والفنون بمعانيها وأشكالها، وتعدد صورها وهيئاتها فى كافة المجالات.

ولقد بدأ الخط العربى فى النماء فى طريقين هما:

1. **الخط الجاف**: وسمى بالخط اليابس المبسوط وهو يميل إلى التربيع مستوحى من الخط الارامى، استخدم كخط تسجيلى فى كتابة رسائل الرسول، والمصاحف فى صدر الإسلام وكذلك العمائر والعملة أدخل عليها من التحسين والإضافات فتنوعت أشكاله وتعددت زخارفه واستخداماته بصورة مذهلة خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة. وأطلق عليه الخط الكوفى بعد إنشاء مدينة الكوفة.

2. **الخط المقور**: وسمى بالخط اللين النسخى والذى تميل حروفه إلى التدوير، استخدم فى الكتابة العامة والتدوين وامتازت حروفه بتناسب أجزائها وانسجامها فيما بينهما سواء كانت مفصولة أو موصولة مما ساعد على سهولة الكتابة بسهولة ويسر.

ولقد استخدم النوعان معا منذ بداية القرن الأول للهجرة فى شتى المجالات.

أولا: الخط الجاف - اليابس

ازدهر هذا النوع من الفن مع مرور الزمن وتعاقب العصور، لما يمتاز به من تنوع كبير لأشكاله الفنية وأنواعه الغنية الخصبة حيث تمتع بقدرته الكامنة للتعبير عن الحركة والشكل والفراغ والكتلة بالإضافة إلى التعبير عن الصلة بين حركة الحروف، أدى ذلك إلى تحقيق نتاج جمالى شامل

للكلمة والجملة المركبة داخل سطر الكتابة، حيث وجد الفنان فى الخطوط الأفقية والرأسية للخط مجالا خصبا للإبداع والابتكار والتصرف بحرية مقننة كما أضاف إليها نوعا من الزخارف المورقة حينا ومزهرة حينا أخرى ثم هندسية وما إلى ذلك من الإضافات.

تسمية الخطوط والأقلام:

وتذكر بعض المصادر العربية أنه تم تسمية الخطوط بأسماء المدن التى شاع وانتشر وذاع استخدامه بها مثلما شاع عند عرب الحجاز قبل عصر الكوفة، فالعرب قبل الإسلام كانوا يجهلون الكتابة، حيث جاءت إليهم من ديار النبط وسمى خطهم بالنبطى، والحيرى نسبة إلى الحيرة والأنبارى نسبة إلى الأنبار، والأرامى نسبة إلى الأراميين، والمكى نسبة إلى مكة المكرمة، ويذكر ابن النديم عن محمد بن اسحق أن الخط المكى يعتبر أول الخطوط العربية التى تميل بقوائمها جهة اليمن قليلا مما يساعد فى السرعة بكتابة الحروف وتنسيقها فى وقت قصير وبجهد أقل، وكذلك الخط المدنى نسبة إلى المدينة المنورة حيث بداية ظهوره وتنوع أقلامه حتى بعد أن أصبحت المدينة المنورة عاصمة للعالم الإسلامى وتمركز النشاط الدينى والسياسي بها.

الكوفة مدينة الأقلام العربية:

وفى عهد ازدهار مدينة الكوفة التى أسسها سعد بن أبى وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب 17هـ بعد انتصار المسلمين فى معركة القادسية والمدائن لتكون مقرا عاما لقيادة الجيوش ثم جعلها الإمام على ابن أبى طالب عاصمة للخلافة، أنشأت الكوفة قبل بغداد بنحو 130 عاما وكانت مركزا دينيا وثقافيا وسياسيا، وكان لها مذهبها الخاص فى الكتابة العربية عرف باسمها (الخط الكوفى) وهو نوع بل أنواع من الخطوط الجليلة التى مارسها المسلمون حيث شاع واقترن بها وامتاز هذا النوع من الخط بالتربيع والقوة والعظمة، وكما هو معروف أن مدينة الكوفة بنيت فى بقعة كانت تسودها ثقافات سامية من الأرامية والتدمرية والسريانية وغيرها.

ولقد أجمعت المصادر التاريخية على أن مدينة الكوفة عرفت جميع الخطوط والأقلام العربية بدءاً من المكى والمدنى والبصرى والكوفى مرورا بمراحل تطوره المختلفة الذى حظى باهتمام شديد فى مدينة الكوفة منذ تأسيسها.

أنواع الخط الكوفى – ومراحل تطوره

تنوعت أقلام الخط الكوفى وتطورت طبقا للتطور التاريخى والزمنى من حيث الشكل والزخارف وأيضا طبقا للتطور الحضارى والتمدن العمرانى ومجالات الاستخدام وكان الترتيب المنطقى لتطور الخط الكوفى كالآتى:

1. الكوفى البسيط.
2. الكوفى المورق.
3. الكوفى المزهر.
4. الكوفى المضفر أو المجدول.
5. الكوفى الهندسى التربيعى.

هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى أكثر تعقيدا غير أنها لم تنل من الشهرة والانتشار مثل سابقتها.

1. الكوفى البسيط:

أطلق عليه فى البداية الكوفى البدائى حيث كان جافا حاد الزوايا ثم تطور وتدرج وبلغت العناية به فى مصر والشام منذ منتصف القرن الأول الهجرى حتى بلغ مرحلة عظيمة من التطور والدقة فى القرن الثالث الهجرى.

ومن أهم أمثلته التى وصلتنا مؤرخة.
أ) كتابة سد العيار بالطائف مؤرخة عام 58هـ/ 677م.
ب) كتابة صخرة جفنة الأبيض مؤرخة بعام 64هـ/ 683م.
ج) كتابة فسيفساء قبة الصخرة مؤرخة بعام 72هـ/ 692م.

كما كتب به العديد من المصاحف (شكل 5)، كما تعد أيضا كتابات مقياس النيل من أدق الكتابات التى كتبت بالكوفى البسيط أضيفت إليه إضافات هندسية بسيطة ساعدت على إبراز الكتابة ووضوحها كما تعد كتابات الجامع الطولونى (265هـ) من أجود ما وصلنا بالخط الكوفى البسيط.

2. الخط الكوفى المورق

التطوير سمة من سمات الفنان المسلم، وتعتبر مرحلة الانتقال من الخط الكوفى البسيط ورحلته عبر الإضافات الفنية التى أطلقها الفنان، حين أدرك قيمة الحروف وأن إضافة الوريقات البنائية سوف تزيد من بهاء بعض الحروف مع عدم الإخلال بالقيمة الجمالية أو الشكلية فأضاف إليها الزخارف بحذر إلى أن تساوت الزخارف مع حروف الكتابة وصارت عقدا يلتف حول سطر الكتابة فى وقار واحترام.

قام الفنان بشغل الفراغات بين قوائم الحروف الرأسية وجسم الكلمة الأفقى، كما قام الفنان بمد الأطراف المستديرة لتملأ الفراغات الافقية وكان لاستخدام الفنان زخارف التوريق العربية منذ القرن الثالث الهجرى أكبر الأثر فى تطوير شكل الحروف وتحويرها وتبديلها عن أصلها الطبيعى مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالى، تلك الإضافات وذلك التحوير كان سببا لتمييز الفن الإسلامى عن غيره من الفنون (شكل 6).

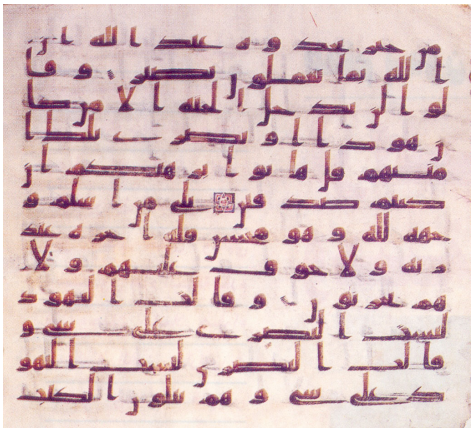

شكل (5)

شكل (6)

نشأته ومجالات استخدامه:

كان أول ظهور واستخدام هذا النوع من الكتابة الكوفة المورقة فى مصر فى نهاية القرن الأول للهجرة بزيادات بسيطة فى أطراف القوائم ثم أخذت بعد ذلك فى التطور والتدرج فى القرن الثانى والثالث للهجرة كما فى زخارف المسجد الطولونى كما اهتم الفاطميون بتوفير كل أسباب الرقى حتى بدا ذلك إسرافا فنيا إذا جاز التعبير وذلك لما بدا من مظاهر الإبداع والجمال والخبرة والمهارة والتى تظهر بوضوح فى بوابة مسجد الحاكم ومئذنتيه وكذلك فى واجهة مسجد الأقمر بالقاهرة، كما

تظهر أيضا إمكانيات التطور فى الأساليب الفنية فى الأجزاء الفاطمية من الجامع الأزهر وما بها من خصب الخيال والتشبع بروح الجمال.

وهناك العديد من الآثار التى تحظى بزخرفة هذا النوع من الفنون لا يتسع لها المجال سواء كانت منحوتات جصية أو نسيج أو أبواب خشبية أو محاريب مثل محراب السيدة نفيسة – السيدة رقية – تابوت الإمام الشافعى.

واستمر استخدام هذا الفن فترة طويلة إلى جانب مراحل التطور اللاحقة عليه وانتشر فى سائر المدن الإسلامية، بل وتعداها فى الاستخدام والانتشار إلى أوروبا ومناطق أخرى من العالم ولا نجد حرجا فى القول أن هذا النوع شاع وانتشر فى بعض الكنائس (كابيلا بالاتينا – نوتردام – لافوت شلهاك – سان بيترو فى ألبا).

3. الكوفى المزهر:

يذكر فلورى (أحد علماء الفنون الإسلامية) أن الكوفى المزهر هو أحد البدائع الفنية التى أنتجها الفن الإسلامى فى الحقل الذى اختص فى مجال الزخرفة الكتابية. كذلك يعتبر المرحلة المتطورة تطورا راقيا للكوفى المورق، وهو من أجمل أنواع الخط الكوفى المزوق حيث يعتبر أعلا مراحل التطور – امتاز بثرائه الزخرفى، حيث زينت رؤوس الحروف ونهاياتها بالمراوح النخيلية والأوراق النباتية والأزهار، وقد تكثر الفروع النباتية الزهرية التى تخرج من الحروف بحيث تملأ كل الفراغات الموجودة مكونة وريقات متعددة الفصوص، كما تغطى أرضية الكتابة تكوينات زخرفية نباتية من فروع متموجة تكون لفائف مورقة تتألف منها فى مجموعها زخارف الأرابيسك الإسلامية الشهيرة.

وقد شاع استخدام هذا النوع من الكتابة عند الفاطميين وبلغ درجة كبيرة من النضج والتطور فى القاهرة الفاطمية كما يتضح ذلك فى الكتابة الكوفية المزهرة بالجامع الأزهر وجامع الحاكم بالقاهرة.

ومن أهم الأمثلة على ذلك أيضا:

1. المحراب الفاطمى الموجود بالجامع الطولونى الذى أقامه الوزير الأفضل شاهنشاه بدر الجمالى (487هـ/ 1094م).
2. المحراب الأوسط بجامع السيدة رقية.
3. جامع الصالح طلائع (555هـ/ 1160م).

ومن أشهر الكتابات الكوفية المزهرة على الإطلاق والبالغة الدقة والروعة، الإطار الزخرفى البديع الذى يحيط بأعلا جدران رواق القبلة بمسجد السلطان حسن بالقاهرة (سورة الفتح كاملة) (شكل 7) كتبت بالكوفى المزهر البديع على أرضية تموج بالزخارف النباتية الدقيقة الغنية بزخارف التوريق العربية فى تناغم غريب بين آيات القرآن كتبت بالكوفى المملوكى المزهر البالغ الروعة يفيض بالكثير من الوقار والجلال لا مثيل له. وأيضا من أعظم ما وصلنا من كتابات كوفية مزهرة محفورة على الخشب البالغ الدقة والعناية من العصر الأيوبى – التابوت الخشبى الذى نقل من المشهد الحسينى زاوج بين أكثر من نوع وأكثر من مدرسة وأكثر من عصر. (محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة) (شكل 8).

شكل (7)

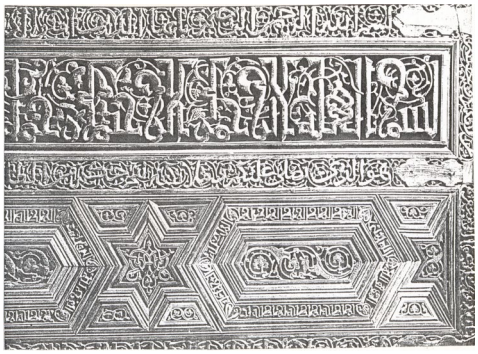

شكل (8)

ولقد شاع استخدام هذا النوع فى القيروان وتركستان وبلاد المغرب والعراق وأواسط آسيا وخراسان.

4. الكوفى المضفر (المجدول)

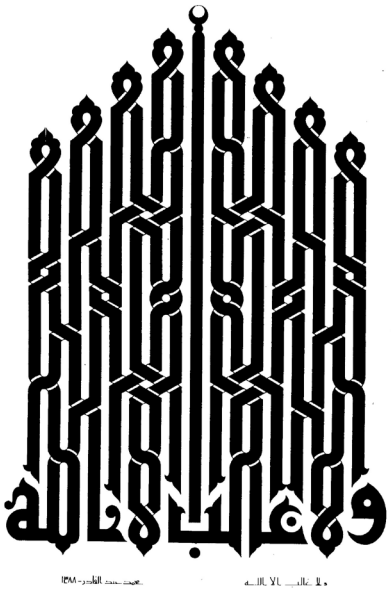

بعد أن توصل الفنان للمستوى الرائع من الزخارف (التوريق والتزهير) فى الكتابة الكوفية وبعد أن تمكن من قوة الأداء وروعة التعبير وجمال التوزيع عمد إلى الإفادة من طبيعة المساحة التى تشغلها الكتابة والفراغات التى تفرضها نهايات الحروف والقوائم وارتفاعاتها فى بعض الأحيان مستغلا نوعا من الزخارف الهندسية (شكل 9)، ولا يتوقف التضفير على قوائم الكلمة الواحدة بل تعداها إلى ما جاورها من كلمات تصل إلى سطر الكتابة بالكامل. والخط الكوفى المجدول أو المضفر يعتبر من أغنى الأنواع بالزخارف التى تتخذ أشكالا وهيئات متشابكة ومتداخلة لتضفى على هيكل الكتابة نوعا من التعقيد والتركيب لدرجة يصعب التمييز بين العناصر الخطية والعناصر الزخرفية.

ومن أهم النماذج:

1. كتابات قلعة رادكان فى فارس (411هـ).
2. كتابات المسجد الجامع بالقيروان (431هـ).
3. كتابات ضريح بيرى عالمدار بإيران (418هـ) (شكل 10).
4. كتابات مدخل جامع الناصر محمد بن قلاوون.
5. مقلمة ودواة من النحاس من العصر المملوكى باسم السلطان الملك المنصور محمد (764هـ).
6. كتابات قصر الحمراء.

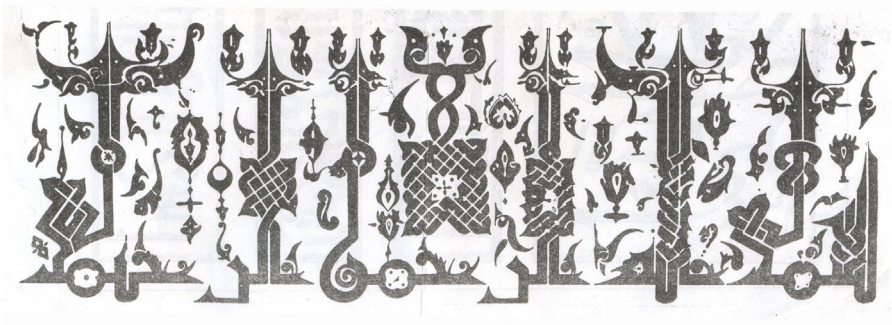

ويتضح من خلال النماذج المذكورة أن هذا النوع من الكتابة الكوفية شاع استخدامه فى كثير من البلدان الإسلامية على سبيل المثال فى مصر والعراق والشام وإيران وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس بل تعداها إلى بلدان أخرى.

5. الكوفى المربع – المعمارى:

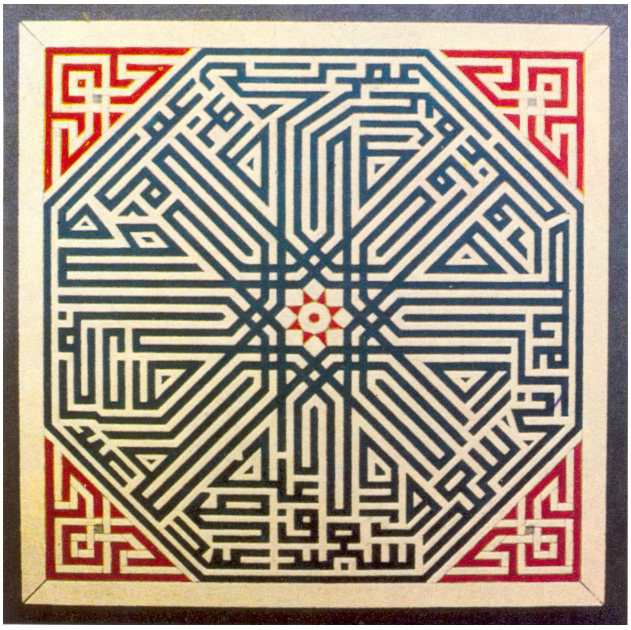

ويطلق عليه الكوفى الهندسى التربيعى على أساس أن وحدة الكتابة هنا هى المربع المتحرك فى كل الاتجاهات سواء أفقى أو رأسى محققا الزوايا الهندسية (شكل 11)، ويحتفظ هذا النوع بالعناصر الجمالية المميزة مهما تعددت الخامة واختلف أسلوب التنفيذ.

ولقد أبدع الفنان المسلم هنا مثلما أبدع هناك فى ابتكار أساليب وأشكال من خلال تركيبات هندسية عمودية (رأسية وأفقية) وكان يعمد للإفادة من طبيعة المساحة والفراغ التى تشغلها الكتابة بحيث يشغل الفراغ مساحة مساوية للكتابة من خلال وحدة المربع المتجاورة والمتحركة والمتعامدة والمتقاطعة قيمة جمالية. سواء رأسية أو أفقية أو فى أى شكل رياضى، ولقد عرفت مصر هذا النوع من الخط منذ بداية القرن 7هـ واستخدم فى العديد من العمائر الإسلامية المملوكية مثل:

1. مدخل مسجد السلطان حسن 757هـ/ 1356.
2. بلاطة غيبى التوريزى الخزفية (محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة).
3. قبة قلاوون من الداخل 819هـ.

كما شاع استخدامه بصفة خاصة فى إيران (شكل 12) ثم انتقل إلى العراق ومنها إلى بلدان إسلامية كثيرة، وهذا يدل على تفوق الفنان المسلم بدرجة عالية تؤهله لأن يقف فى مصاف الكثير من الفنون العالمية التى تفوق عليها.

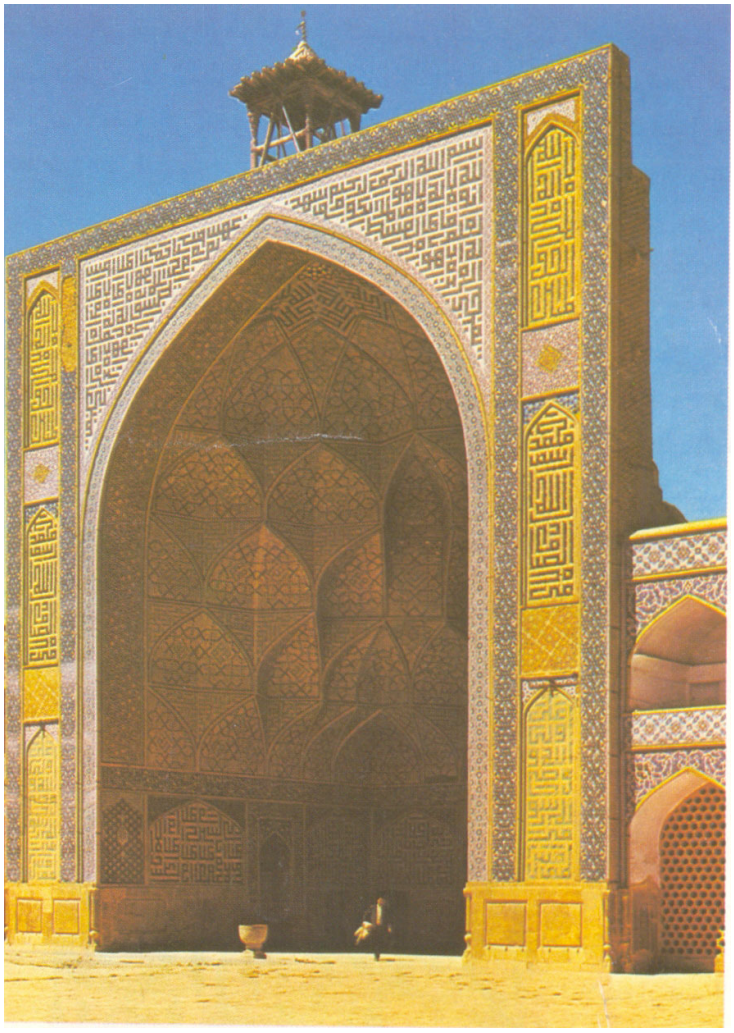

وعلى الرغم من التطور الكبير والتعدد فى القواعد والأشكال والقوانين التى حدثت للحرف العربى سواء كتب به المصحف الشريف أو كتب السنة الشريفة أو دونت به المخطوطات أو زوقت به المشغولات التطبيقية أو العمائر الإسلامية أو باستخدامه كرمز تعبيرى أو شكل جمالى تشكيلى إلا أنه لم يزل يملك سحره داخل الكلمة والجملة بثراء منقطع النظير.

وإذا كان مبدعوا الكتابة العربية منذ أيام القلم المسند حتى يومنا هذا قدموا لنا ابتكارات وأشكال أكثر إتقانا وأعمق حضورا بفضل ما أدخل عليها من تطور وإضافات حددت المسار التاريخى والعلمى والحضارى للفن الإسلامى الذى كان له أكبر الأثر فى امتداد واعتزاز الفنان المسلم بإسلامه واعتزازه بإيمانه بحضارته وتفرده بفكر لم يتكرر فى الحضارات منذ فجر الإسلام.

ثانيا: أنواع الخط اللين ومراحل تطوره

سمى بعدة أسماء منها الخط اللين – التحرير – المقور حتى سمى بخط النسخ بعدما عرفته مدينة الكوفة وقد أجمعت المصادر على تسميته بخط النسخ لكثرة استخدامه فى نسخ المصاحف والأحاديث النبوية ونقل الكتب العلمية ويذهب بعض العلماء العرب فى تحديد أصل الخط النسخى اللين وتاريخ ظهوره أنه مشتق من الخط الكوفى، وأنه لم يكن له وجود قبل عهد الخطاط ابن مقلة 272هـ/ 886م وهذا الرأى بالدليل القطاع خاطئ حيث أن كتابات القرن السادس الميلادى (الأول الهجرى) والكتابات البنطية فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلادى، لوجدنا بالنظر والمقارنة أن التدوير والتربيع ظاهرتان متلازمتان وأصلان ثابتان من أصول الكتابة فى تلك الفترة وأن هذه الكتابة تسبق عصر ابن مقلة وزير الخليفة العباسى المقتدر المتوفى (324هـ) بحوالى ثلاثة قرون أو يزيد والتأكيد على ذلك ما أملاه الرسول على صحابته فى تدوين المصحف الشريف فى صحائفهم بالخط اللين لما يتطلبه من سرعة فى التدوين، وكان النبط يخصون الخط الجامد المزوى فى كتابتهم التاريخية وتسجيل أعمال ملوكهم حتى تأتى كتابتهم فى سطور غاية الدقة والأناقة حيث تتطلب الوقت الكثير.

وكما كان للخط الكوفى الهندسى سماته الخاصة وأشكاله المختلفة ومدارسه المتعددة ومناهجه المتطورة فى الأداء واحتل مركز الصدارة كخط رسمى تسجيلى وزخرفى فى آن واحد.

أيضا تفرع الخط اللين إلى عدة مدارس كل مدرسة منها لها منهجيتها البالغة الخطورة والدقة والكمال تحقق ذلك من خلال البعد النفسى والتاريخى والجهود المخلصة على كافة المستويات الرسمية والشعبية والاهتمام البالغ من الحكام والأمراء والفنانين فتعددت الأنواع والأشكال سواء فى مصر أو فى بغداد من حيث ابتكار صور وأشكال جديدة وإبداع تقنى غاية فى الدقة من خلال وضع أشكال الحروف وضبطها بنسب ومعايير جمالية ورياضية وهندسية من أجل الوصول بالخط النسخ إلى التطور والكمال الفنى.

الخط النسخ:

كان من نتيجة الجهود المبذولة بين مصر وبغداد لتحسين خط النسخ والعناية به أن شهدت مصر منذ أواخر العصر الفاطمى بداية التحول عن استخدام الخط الكوفى كخط رسمى إلى الكتابة بخط النسخ، حيث بلغ خط النسخ مبلغه من الجودة والإتقان بداية من العصر الأيوبى وأيضا فى العصر المملوكى وصل إلى قمة مراحل تقدمه وتفوقه من حسن إلى أحسن.

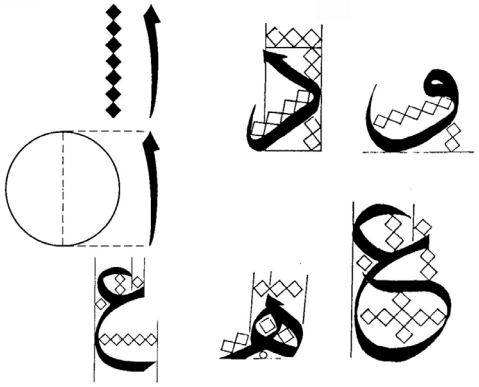

ولقد اعتمد فنانوا الخط المسلمين بعد ما وضحت شخصية الخط النسخ على تقدير معايير وقواعد وأسس يضبط بها الخط النسخ ولقد بدأ وضوح هذا النظام على يد ابن مقلة فى نهاية القرن الثالث الهجرى، حيث نسب جميع الحروف إلى حرف الألف التى اتخذها مقياسا أساسيا وجعل طول حرف الألف سبع نقط من نقط نفس قلم الكتابة وجعل حرف الباء على سطر الكتابة بنفس طول الألف أيضا وهكذا (شكل 13).

وعلى هذا الأساس كان لابن مقلة وتلاميذه السبق فى وضع قانون ودستور يضبط به أصول الخطوط اللينة عامة والنسخ بصفة خاصة وأكمل تلك المهمة الشاقة ابن البواب، وابن عبد السلام وابن الصائغ وابن العفيف والشيخ زين الدين كل هؤلاء وصلوا بالخط النسخ مستوى من الرقى والجمع بين النسب الفاضلة وبين الجمال الفنى (شكل 14) كما ازدهر هذا النوع أيضا على يدى ياقوت المستعصمى الملقب بقبله الكتابة بفضل المحاولات الجادة للمحافظة على تناسب الحروف وجمال الرونق.

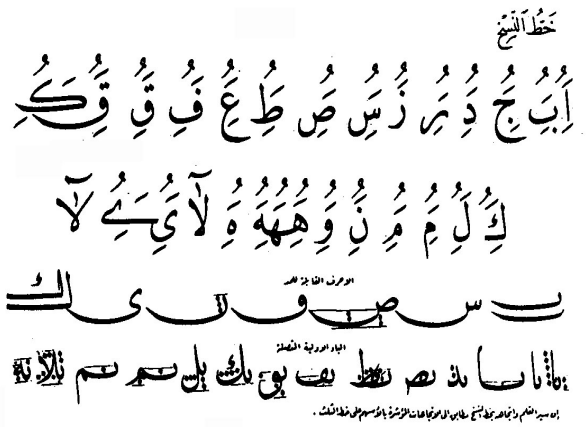

ولقد استخدم الخط النسخ فى مصر منذ دخلها الإسلام فى المكاتبات العادية حتى صار نوعما للخط الكوفى، لازمة فى كل الكتابات الرسمية والعمائر والمصاحف (شكل 15) بصورة تؤكد مدى الاهتمام بهذا النوع وعظمته وسهولة استخدامه.

كما استخدمه الأتابكه فى الموصل وشمال الشام فى كتابه المصاحف، كما استخدم بوفرة أيضا فى العصر الأيوبى واعتبر عنصرا مكملا للفن المعمارى بما أضافه من عظمة وقوة وإجلال من خلال واجهة مسجد الصالح نجم الدين حيث حل محل الكوفى فى واجهة المسجد كما وصل فى العصر المملوكى درجة عالية من الإتقان والتعدد والتنوع نذكر منها على سبيل المثال مصحف السلطان شعبان (764هـ) المكتوب بخط النسخ المزوق بالزخارف النباتية والمحلى بالذهب.

2. الخط الثلث (شكل 16 أ ، ب)

ومع الاستمرار فى تطوير منظومة الكتابة العربية وابتكار أنواع جديدة تساير الزمن والاستخدام والخامة والفكر المتقدم مع مر الزمن والارتقاء بالفنون الإسلامية ظهرت ملامح فن جديد وشكل من الأشكال قرب نهاية الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية القرن 2هـ8م) على يد الخطاط (قطبه المحرر) ابتكر أقلاما وطور وهذب وأضاف، أكمل معه المسيرة الضحاك بن عجلان واسحق بن حماد فى عهد المنصور والمهدى والوصول إلى "قلم الجليل أى العظيم" أو الطومار.

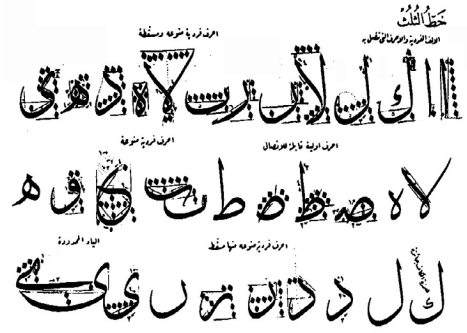

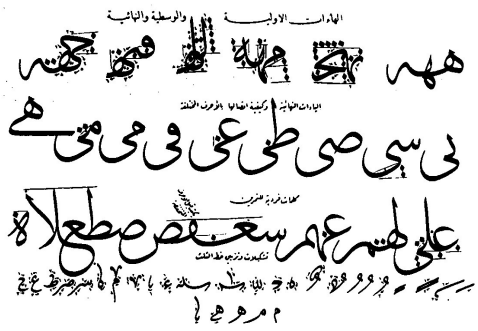

ومن أهم خصائص قلم الطومار أو الجليل – كتابة مستدارات حروفه بوجه القلم ومداتها بسنه وتعاريقها بوجهه جهة اليمين ولا يجوز فيه طمس حروفه المعقودة مثل الصاد والقاف وأخواتها والهاء والميم ذلك لأن الطمس لا يليق بالجليل.

والملاحظ أن استخدام خط الطومار فى الكتابات الرسمية إلى جانب الكتابات الدينية وخطوط المصاحف التى كانت تتطلب نوعا عظيما وكبيرا يتفق وجلال وعظمة وهيبة المناسبة التى كتب فيها، وكلما زاد جلال المناسبة وعظم شأنها انعكس ذلك على حجم الخط وعظمته ونوعه وكبر حجمه.

- ولقد تفرع من قلم الطومار الذى كان عرض سن القلم 24 شعره من شعر البرزون حيث اعتبر أضخم الأقلام وأجلها وأعظمها وأكبرها حجما واعتبر شعر البرزون وحدة قياس لعرض القلم.
- والثانى مختصر الطومار 4/3 الطومار أى 18 شعرة واستخدم فى كتابة السجلات والمراسم.
- الثالث قلم النصف 2/1 الطومار أى 12 شعرة
- الرابع قلم الثلثين 3/2 الطومار أى 16 شعرة وابتكره إبراهيم الشجرى وأخوه يوسف واستعمل فى كتابات الخلفاء والأمراء ثم ما لبثا أن خففا هذا القلم إلى النصف مبتكراً خطا جديدا سماه "الثلث".
- الخامس قلم الثالث 3/1 الطومار أى 8 شعرات.

ثم تفرع من الثلث قلما آخر ابتكره أحمد بن خالد الأحول وزير الخليفة المأمون سمى خفيف الثلث ويقل عرضه قليلا عن الثلث بحيث تبدو حروفه أرق شكلا وأدق حجما من حروف الثلث ويكاد يكون الفرق بينهما قليلا، وهناك علامة تميز بها خط الثلث إلى جانب التقوير، فإن للترويس هنا أهمية كبيرة والترويس معناه بدأ رسم الحرف بنقطة بعرض القلم ويروس من الحروف الألف المفردة والسنة المبتدأة.

أجاد الفنان المسلم وصال وجال مع كل فكر جديد ومتجدد فأدخل الكتابة اللينة والكوفية وكسر بها جمود المساحة فكتب داخل الدائرة والمستطيل والمربع والمثلث والأشكال النجمية، كما اتجه الفنان إلى خلق نوع من العلاقة الصعبة بين خط الثلث والزخارف الهندسية المضفرة مثلما استخدمها فى الكوفى المضفر فخلق منها تكوينات بديعة كما استخدم أيضا الزخارف النباتية (شكل17) وبلغ به من التطور تحقيق التماثل المكرر والتماثل المقلوب مما يؤكد مهارة الفنان واتساع رؤيته للجديد دائما.

3. الخط الديوانى:

عرف هذا القلم بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح (857هـ/ 1453م) وهو نوع من الخط العربى اللين استعمل فى كتابة الفرمانات والبراءات السلطانية وكانت حروفه فى بدايتها خليط من النسخ والثلث والريحان (شكل 18)، أول من وضع قواعده الخطاط إبراهيم عفيف الذى عاش فى عهد السلطان محمد الثانى وهناك نوع متفرع من الخط الديوانى يحمل نفس الخصائص والمميزات وهو الديوانى الجلى أو الجليل أو العظيم عرف فى نهاية القرن العاشر الهجرى وأوائل القرن الحادى عشر الهجرى وذلك أثناء حكم السلطان أحمد الثالث وعنى به وكتبت به المناسبات الجليلة الرسمية ويمتاز عن أصله الذى تفرع منه ببعض الحركات الإعرابية مع إضافة النقط الزخرفية على هيئة دوائر مفرغة على هيئة حلية (شكل 19) وقد تم ضبط هذا النوع بقواعد ميزان النقط على غرار حروف الثلث ومن أشهر من جود هذا القلم فى مصر غزلان بك الذى عمل

على تقنين الحروف وضبطها وابتدع خطا جديدا من الديوانى سمى الديوانى الريحانى حيث امتاز بتداخل حروفه بأوضاع متناسقة خصوصا الألف واللام فى تداخلها تشبه أعواد الريحان وأطلق عليه الديوانى الغزلانى.

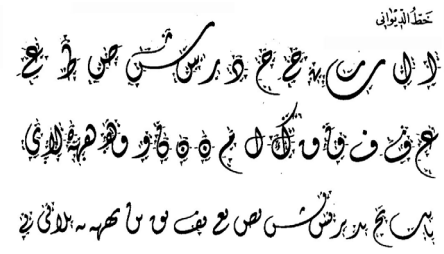

شكل (18)

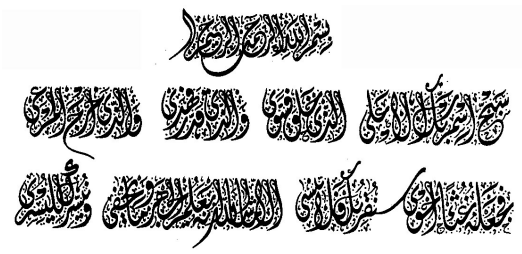

شكل (19)

4. خط الرقعة:

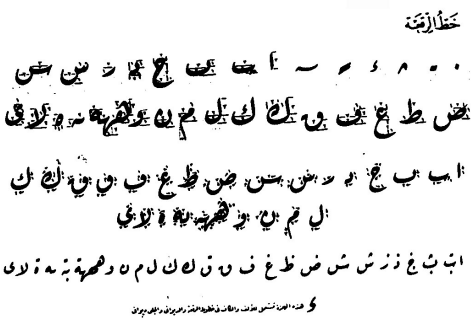

لا علاقة لتسميته بقلم الرقاع، عرف فى القرن 9هـ/ 17م بأسماء متعددة، لم تكتب به المصاحف أو الأحاديث النبوية لعدم استخدام حركات الاعجام التى كتب بها المصاحف مثل النسخ والثلث، كما يعتبر الكتابة بقلم الرقعة أسرع إنجازا وسهولة وهو قلم قصير الحروف منه الدقيق ومنه الغليظ وضعت قوانين لكتابته بميزان النقط وهندست حروفه على موازين الخطوط العربية مثل النسخ والثلث، كما يكتب الرقعة على ميزان بين خطين وهميين ارتفاع الألف فيها ثلاث نقط من سمك قلم الكتابة وحروفها هندسية وقوائمها مقبولة لا ترويس لها ويكون شكل النقطة ووضعها على هيئة المعين بحسب قطه القلم المائلة التى تشبه قلم الثلث (شكل 20) ولقد بدأ استخدام هذا النوع فى تركيا وانتقل فى البلاد التى خضعت للحكم العثمانى وشاع استخدامه فى مصر منذ تلك الفترة حتى الآن فى الكتابات العادية واليومية.

5. الخط الفارسى:

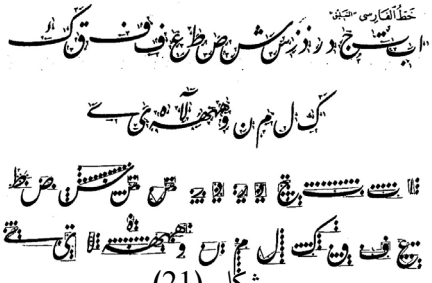

شكل (21)

عرف الفرس الخط العربى بعد دخول العرب بلادهم واستخدموه بدلا من الخط البهلوى الذى كان شائعا قبل الإسلام واشتقوا خطهم من خط القرآن الكريم المسمى فى ذلك الوقت (قيراموز) وأن قلم القيراموز هذا نتيجة مجموعة من الأقلام التى استخدموها واستحدث منها هذا القلم وهى (قلم السلواطى وقلم السحلى وقلم الراصف وقلم الحوائجى)

كما تذكر بعض المراجع العربية وكلها جاءت نتيجة تعلم الفرس القرآن الكريم وتعرفهم على الكتابة الكوفية وأقلام النسخ والثلث الذين صحبوا العرب عند دخولهم بلاد الفرس، كما يعد الخط الفارسى (شكل 21) من أجمل الخطوط العربية وأبهاها وأدقها وأرقها كما تولد عنه عدة أنواع وأشكال نذكر منها:

أ) خط التعليق: شاع هذا النوع فى إيران فى أوائل القرن الثالث الهجرى استنبطت قواعده من مجموعة الأقلام (النسخ – الرقاع – الثلث) أدخل عليه بعض الإضافات من التطوير والابتكار فى شكله الجديد وأضافوا إليه حروفا لم تكن فى الأبجدية العربية (مثل ب، ج، ز) ونقطوها بثلاث نقط ونقطوها بثلاث نقط حسب نطقهم فى لغتهم ويعتبر خط التعليق من الأقلام الفارسية المقورة كتبت بها المخطوطات والسجلات ولكن لم يكتب به المصاحف التى كتبت دائما بخط النسخ فى جميع بلدان العام.

ب) خط النستعليق: وهو كما يظهر من اسمه (نسخ +تعليق) وهو فرع أكثر دقة ورشاقة وأناقة (شكل 22) سطوره وسهولة انسياب قلم الكتابة كتبت به جميع المخطوطات الفارسية تقريبا والتى تنسب إلى القرن (9هـ/ 15م) وينسب الفضل فى ابتكار هذا القلم إلى (مير على التبريزى) كما ينسب إليه الفضل فى وضع قواعد تجويد خط التعليق وهناك أنواع أخرى تتفرع عنه من خط التعليق هى:

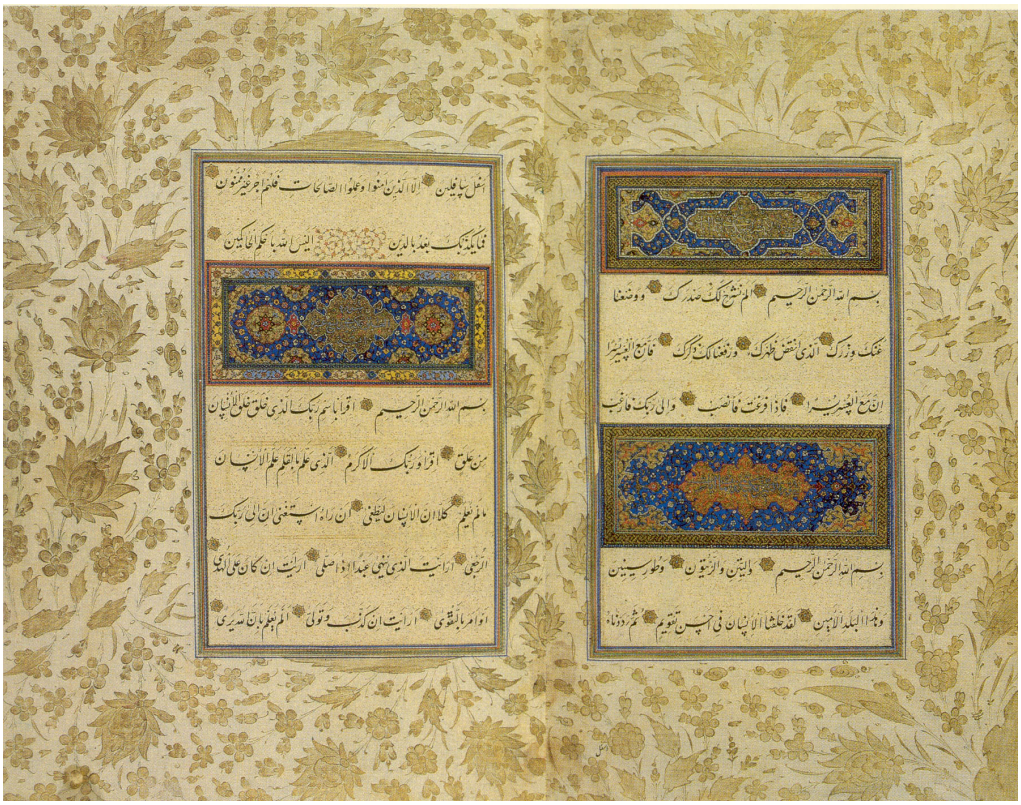

1. **خط جلى التعليق**: وهو من فروع خط التعليق ويستعمل فى كتابة الألواح الكبيرة بجلال وعظمة وحجم قلمه واستخدمه وتفوق فيه الأتراك أكثر من الفرس.
2. **خط أنجه تعليق**: ومعناها باللغة التركيه (دقيق) كتبت به المخطوطات صغيرة الحجم والتى تتميز بدقة كتابتها ورسومها مثل (كلستان – المنظومات الخمس).
3. **خط شكسته تعليق**: ومعناها بالعربية المكسور لم يستخدم بكثرة ولكن كتب به بعض الخطاطين الفرس مثل مشكين قلم.

4. **خط الشكسته**: وهو خط معقد نسبيا له قواعد مختلفة عن باقى أصوله ويتعذر على القارئ أو من يكتبون القراء أو الكتابة به إلا من تعلمه ومارسه.

والحديث لا ينتهى والفنون الإسلامية لا تتوقف عند حد معين ولكن أينما حل الدين الإسلامى أنبتت الأرض من تحت أقدامه فنا خالصا صرفا لتلك البقعة التى هل عليها ونذكر منها:

6. الخط المغربى:

يعتبر من أهم صور الكتابة العربية وأوسعها انتشارا فى شمال أفريقيا حتى الآن ما زال يستعمل فى بعض أجزاء من وسط وغرب القارة الأفريقية ولقد امتد فى العصور الوسطى حتى بلغ أسبانيا والخط المغربى خط قائم بذاته وعرف فى بدايته بخط القيروان عاصمة المغرب بعد الفتح الإسلامى والتى أنشئت سنة (50هـ/ 670م).

ولقد انقسم الخط المغربى من حيث الوظيفة إلى قسمين.

الأول: القسم الدينى أو الكتابة التذكارية وهو الذى استخدم فى كتابة المصاحف والأحاديث النبوية ومخطوطات العلوم الدينية (شكل 23).

الثاني: القسم المدنى وهو خط أكثر مطاوعة للكاتب وسمى خط التحرير أو التدوين ولقد وصف د. إبراهيم جمعه الخط المغربى بأنه خط كثير الائتلاف تقل الاستقامة فى قوائمه يتميز بهبوط الحروف إلى أسفل على شكل استدارة هى أقرب إلى الأقواس منها إلى أنصاف الدوائر، نحيف لين فى مجموعة، مفتح العيون فى خط المصاحف، ومطموسة فى الخطوط الدارجة.

وأهم ما يميز الخط المغربى عن سائر الخطوط، نقط الفاء بنقطة من أسفلها، ونقط القاف بنقطة واحدة فوقها، ولا تنقط حروف الفاء والقاف والنون والباء النهائية إلا نادرا.

الخصائص الجمالية لفن الكتابة العربية:

إن تنوع الخطوط العربية وتعدد أشكالها منحها خصائص جمالية قلما نشاهدها فى خطوط وكتابات الحضارات الأخرى.

فالخط العربى يعتبر أرقى وأجمل خطوط العالم وأعظمها جلالا وقيمة، فإن له من حسن الشكل ومجال هندسته وبديع نسقه ما جعله يعلو فوق كل الفنون وإذا كان هناك جمالا معنويا مضافا يدركه المرء ببصيرته قبل بصره، هذا الجمال المعنوى هو فوق القواعد الخطية، وهو أيضا غير تناسب الحروف والكلمات، تلك هى روح الجمال أو بعبارة أدق عبقرية الجمال، ولا يدرك هذا الجمال المعنوى ولا يفهم جاذبيته إلا من علا حسه المعنوى وذوقه الفنى.

ويرجع جماليات الخط العربى وأسسه إلى عدة أمور أساسية.

أولا: الجانب الروحى فى جماليات الخط العربى:

فن الخط العربى هو فن كتابة القرآن الكريم، وبالتالى يعتبر فن دينى مقدس له قيمته الفنية ذات النمط الجمالى الخاص به حيث اهتم الملوك والسلاطين على مدى السنين بكتابة المصاحف مؤكدين على تحقيق القيم الجمالية والإبداع من كافة جوانبه مظهرا من مظاهر قوة السلطة ورقيها الحضارى.

ثانيا: الجانب الشكلى فى جماليات الخط العربى:

فالخط العربى يتمتع بإمكانات تشكيلية لا نهائية، فحروفه مطاوعة للعقل واليد إلى أبعد الحدود لما تتميز به من المد والقصر والاتكاء والإرسال والقطع والرجوع وما إلى ذلك من مزايا لا تتوافر فى أى من أنواع الخطوط فى لغات وحضارات العالم، ولذلك فهى تنتمى إلى العالمية بكل قوة ودراية وشمولية، كما أنه فن يجمع بين الليونة والصلابة فى تناغم مذهل وتتجلى فيه قوة القلم وجوده المداد وروعة التكوين فى الهام روحانى يهيمن على الفنان الخطاط المبدع فى لحظة إبداع فلسفى لا تكرر نفسها.

ثالثا: البناء الرياضى والنسبة الفاضلة لجماليات الحروف العربية:

إذا كان الخط العربى قد حظى بعناية ورعاية السلاطين والأمراء والحكام للوصول به غلى درجة الكمال والجلال والجمال والاتقان، فإن الفضل فى ذلك يرجع أيضا إلى عدد من الخطاطين العظماء الذين أفنوا حياتهم فى سبيل بلوغ الخط درجة من الأحكام والشهرة والمجد والخلود. نذكر منهم:

- الوزير أبو على محمد بن مقله المتوفى 328هـ.
- أبو عبد الله بن مقله المتوفى 338هـ.
- على بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى 413هـ.
- ياقوت المستعصمى المتوفى 697هـ.

وبالرغم من تعدد أشكال وأنماط واختلاف الخطوط وتميزها وفق حسابات فنية جرى ضبطها فى نسب هندسية وقياسية، تحققت تلك القوانين من خلال المعرفة بعلوم الهندسة وقوانينها. وذلك بأن جعلوا حرف الألف معيارا وجعلوا من الدائرة التى قطرها حرف الألف منهاجا يتحدد من خلاله شكل معظم باقى حروف نفس النوع حتى أن بعضهم نسب عرض الألف مثلا أى سمك قلم الكتابة إلى طول الألف بمقدار 8/1 وهى نفس النسبة التى عرفت فى الفنون التشكيلية الكلاسيكية لدراسة جسم الإنسان هى نسبة الرأس إلى الجسم = 8/1 وهى ما يطلق عليها النسبة الفاضلة.

رابعا: الإبداع الجمالى لعلامات الاعجام والإعراب:

والخط العربى مر بمراحل متعددة أضافت كل مرحلة إلى الأخرى جماليات وإبداعات وتطوير وإضافات تثير فى النفس الدهشة أولا، ثم التقدير والاحترام ثانيا، إلى أن وصل إلى درجة عالية من الجمال والرقى والإتقان.

الشكل والإعجام فى حروف القرآن:

من المعروف بداية أن حروف الأبجدية العربية كانت عارية تماما من أى إشارات أو دلالات لغوية لغير الناطقين بالعربية فكان المصحف الشريف وغيره من الكتابات خالية تماما من علامات الشكل والاعجام، حتى جاء أبو الأسود الدؤلى فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب بمعالجة هذه الظاهرة، ووضع أصول للنحو، فأضاف إليها التنقيط، ويجب علينا أن نفرق بين النقط والتنقيط.

فالنقط: هو الشكل ويطلق عليه أيضا علامات الإعراب والمراد به إزالة أى خطأ قد يؤدى إلى اللحن فى قراءة القرآن وبالتالى تقييد الحروف بالحركات وضبطها.

والتنقيط: هو الإعجام – والمراد به نقط الحروف المتشابهة فى الرسم للتفريق بينها عند القراءة مثل ب ، ت ، ث وكذلك عدم اللبس أثناء قراءة القرآن بالذات والخوف من حدوث خطأ أو تغيير فى المعنى. ولقد مر هذا الإعجاز اللغوى لحفظ المصحف الشريف من الخطأ فى القراءة لغير المسلمين غير الناطقين باللغة العربية بثلاث مراحل هامة هى:

المرحلة الأولى من الإبداع:

وكانت بتكليف من أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وزياد والى البصرة – أبو الأسود الدؤلى بوضع أصول النحو فبدأ بوضع علامات الإعراب بمداد أحمر يخالف لون كتابة القرآن باللون الأسود. على سبيل المثال (شكل 24):

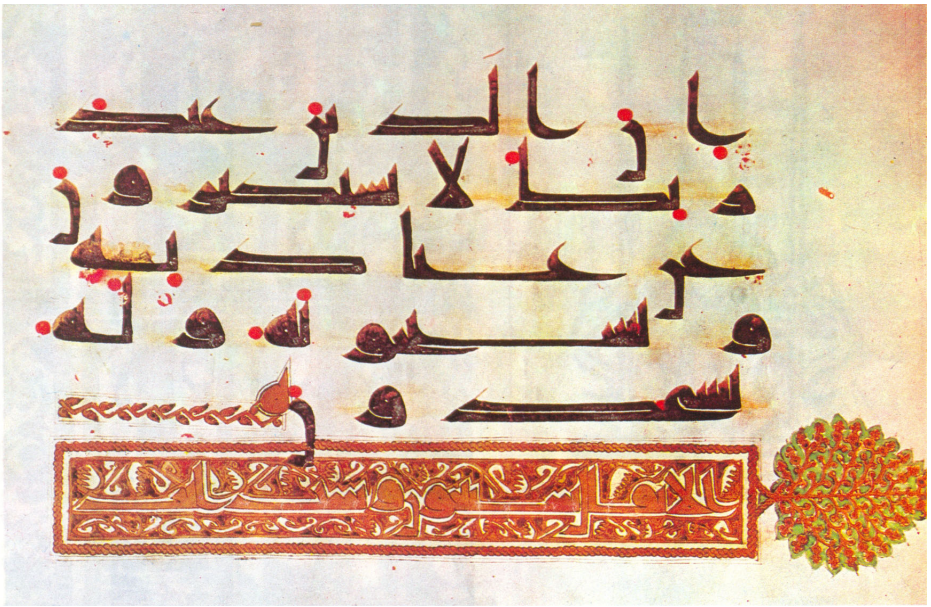

1. الفتحة جعلها نقطة حمراء مستديرة فوق الحرف.
2. الكسرة جعلها نقطة حمراء أسفل الحرف.
3. الضمة جعلها نقطة حمراء فوق الحرف جهة اليسار.

4. التنوين جعلها نقطتين معا فوق الحرف.
5. وترك السكون بلا علامة.

وكان هناك من حسنوا وطوروا أشكال علامات الإعراب من تلاميذ أبو الأسود مثل نصر بن عاصم الليثى وغيره.

فمنهم من جعل تلك العلامة السابقة مدورة خالية الوسط (مفرغة) " O "
ومنهم من جعلها مربعة خالية من الوسط (مفرغة) " □ "
وقد زاد اتباع نصر بن عاصم أيضا علامات أخرى مثل:

1. الشدة: جعلوها علامة كالقوس مفتوح من على يوضع فوق الحرف فى حالة الفتح ( ) وفى حالة الكسر وضعوا القوس أسفل الحرب ( ) وعلى شمال الحرب من أعلا فى حالة الضم ( ). وكانوا يضعون علامة الفتحة نقطة داخل القوس (ن) والضمة نقطة على شمال القوس ( ) والكسرة نقطة تحت ( ).

ثم استغنوا عن النقطة فى مرحلة لاحقة فقلبوا القوس مع الكسرة والضمة فصار الحرف المشدد المفتوح قوسا فوق الحرف فتحته لأعلى ( ) والمشدد المكسور ( ) والمشدد المضموم ( ).

ثم زاد الفريق علامات أخرى فى الشكل مثل الهمزة
ألف الوصل إن كان قبلها فتحة (آ) ومن أسفلها إن كان قبلها كسرة (ا) وفى وسطها إن كان قبلها ضمة (ا)، وكانت هذه الحركات بالمداد الأحمر المخالف لمداد الكتابة باللون الأسود.

المرحلة الثانية من الإبداع - الاعجام

استمر استخدام الإبداع اللغوى من مرحلة ضبط الكتابة العربية (مرحلة التشكيل) والسابق ذكرها حتى عهد عبد الملك بن مروان فى أواخر القرن الأول الهجرى إلا أن هذا الإبداع على الرغم من الجهود المبذولة والبالغة الدقة لم تف بالغرض إذ وقع اللبس فى الحروف المتشابهة أثناء قراءة القرآن وأن هذا الجهد لم يحفظ الألسنة من الخطأ والاختلاف فى القراءة فكان لابد من التفكير فى ابتكار علامات الاعجام أى نقط الحروف مخافة التصحيف أو التحريف، تخيل على سبيل المثال (سسسر – رحل " رجل – زجل – زهل" أى معنى هو المقصود لو كان قرآنا.

واختلفت الآراء واتفقت على طريقة وضع النقط على الحروف ولكن ثم ترتيب حروف الأبجدية المتشابهة ونقطها حسب المقاطع أو المخارج الصوتية أو حركة الشفاة الألف لا تنقط، الباء نقطتها من أسفل فى جميع الأحوال مبتدأة وسطيه منتهية أو مفردة، التاء نقطتين فوق الحرف حسب وضعه والثاء ثلاثة من فوقها، الجيم إما من تحتها مبتدأه وسطيه وسطها منتهية أو مفردة.

الدال بدون نقط – الذال نقطة فوقها وينطبق ذلك على المتشابهان ر، ز، ص ، ض، ط، ظ ، ع ، غ ، السين مهملة، الشين مثل الثاء، النون فى وسطها من أعلى، ف نقطة فوق الرأس، ق نقطتين فوق الرأس أما باقى الحروف فلعدم وجود أخوات فهى تهمل فى النقط مثل هـ، و ، لا ، ى فى حالة الافراد أو المنتهية أما المبتدأة والوسطية فنقطتين من أسفلها.

المرحلة الثالثة من الإبداع – الشكل (علامات الإعراب):

استمرت طريقة أبو الأسود الدؤلى حتى العصر العباسى، أما الإصلاح الثانى الذى أدخله نصر بن عاصم ويحى بن يعمر وتلاميذهم فى زمن بنى العباس وباتفاق جميع كتاب المصحف الشريف بجعل الشكل بنفس مداد الكتابة بدلا من استخدام اللون الأحمر فى الشكل والكتابة باللون الأسود. وحتى لا

يختلط نقط الاعجام بنقط الشكل فى مراحله الأولى والتفريق بينها فكان هناك تفكير بجعل نقط الإعجام دوائر كاملة السواد صماء ●، أما نقط الشكل فجعلها نقطة على هيئة دوائر مفرغة للدلالة على الحركات الإعرابية O وللتفريق بينها وبين نقط الاعجام.

إلى أن تصدى لهذه المشكلة العالم الجليل (الخليل بن أحمد الفراهيدى 94-162هـ/ 712-778م) وكان من أوسع الناس علما باللغة العربية فابتكر نظاما جديدا جعل علامات الإعراب بالحروف بدلا من النقط الملونة (شكل 25).

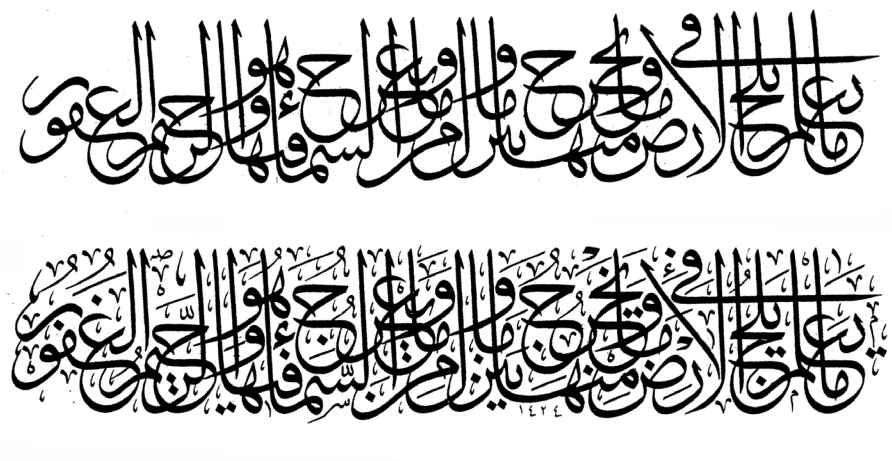

الضمة: جعلها واو صغيرة أعلى الحرف (ُ) وإذا لحقه تنوين كررت الضمة (ٌ)
الفتحة: جعلها ألف صغيرة مضطجعة فوق الحرف وأن لحقها تنوين جعلها (ً)
الكسرة: جعلها ألف صغيرة (شرطة) مضطجعة أسفل الحرف وإن لحقها تنوين جعلها (ٍ)
السكون: جعلها دائرة صغيرة فوق الحرف ْ وأحيانا تكتب على هيئة جيم صغيرة (ﺤ)
الشدة: جعلوها شينا صغيرة فوق الحرف (ّ)
علامة الصلة: جعلوها صادا صغيرة فوق ألف الوصل (ﺹ)
الهمزة: جعلوها رأس عين صغيرة (ء)
المد: جعلوها حرفى ميم ودال اختصارا لكلمة مد (مد)

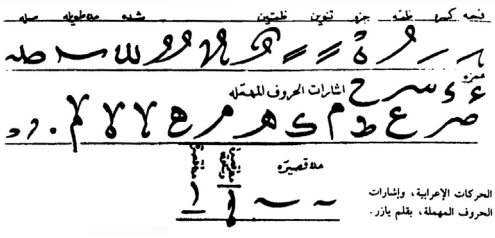

بهذه الطريقة أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة والشكل والاعجام (شكل 26) وبذلك استكملت منظومة كتابة المصحف الشريف بعد اكتمال مراحل الإبداع الثلاثة ولم يقف الخط العربى عند هذا الحد بل استمر فى التطور والتنوع والاتقان وبهذا يصبح الشكل والإعجام أمران واجبان وضروريان فى الكتابة سواء كان قرآنا أو أحاديثا أو نصوصا عادية، حتى صار مرتبط بالكتابة العربية لا يمكن الاستغناء عنها.

والمتتبع لما سبق يجد أن هناك تطورا هائلا وواسعا بصورة لا يحتملها العقل – للكتابة العربية فى تلك الفترة المحدودة وفى تلك البقعة من الأرض الخالية من الحضارة السابقة – يشير وبدلالة واضحة على عظمة القرآن الكريم وسرعة تعلمه وانتشاره والاهتمام به وعلى قدرة الفنان على الوقوف بقوة أمام الحضارات المماثلة وبصورة تبعث على الاحترام والتقدير.

ونستطيع القول بأن الخط العربى هو فن إبداعى بذاتـه لـه مدارسـه واتجاهاتـه ولـه مبـدعوه، واستطاع أن يؤكد ذاتيته المتفردة فى تاريخ الفن العام بتيار خاص له شخصيته المعبرة عن كل عصر، والمعبرة أيضا عن نزعات مختلفة مرتبطة بمستوى الثقافة والمجتمع الذى نما فيه هذا الفن.